لست صيادا

قال: أمتطي – لأجل حبك – أعلى الموجات والأسوار حبيبتي، كأمهر اللاعبين.

– وأنا جدراني أيضا كالموج عالية وكوخي ليس به سوى باب سحري واحد يفتحه قلبي بشفرته الخاصة

ثم اردفت في تخابث طفولي: واللصوص أيضا لا تحوشهم عِلُو البنايات.

قال ضاحكا: لا.. فأنا لم أعتد السرقة يوما حبيبتي، لكني أفخر بسرقة قلبك، فقد سمعتك حين كنت تبوحين لبنورتك السحرية، قلت هذا وأكثر، وأظنك لا تكذبين.

قالت بعد أن زفرت في قلق: أنا لا أحب الكمائن، لم أكن أبدا فريسة.

اقترب منها وأمسك بكفيها ، وهو لا يزال يخوض في الماء، قال: لسْتُ كمينًا ولستُ صيادا، فأنا عاشق، روحٌ تدعوك للفرح،

للنور.. أغرقك في عسله، وتغرقيني معك.. نصير روحا واحدة.. أنا كمن اكتشف سموات جديدة لم يعرفها الناس، أهيم تحتها ، في ليلي ونهاراتي، أتزود بالذكرى، فتشف الروح، تتجلى، تهتز رأسي وجسدي طرباً، من نوع خاص، تتفتح أمامي ورودك، وأجدني في اللامكان أرقص على نغمات نداءاتك لي، ونداءاتي لك، بالحضور فتأتين، وتتم المصالحة بين البدن والروح.

قالت: أعرف أن العشق فضيلة، قد تبعث عزمي العاجز المكبل منذ سنين، قد يسكن به الفرح بداخلي المغترب عمن حوله سيدي، شدتني رقة كلماتك، ودعتني لموكب كله أحلام، أخرج من حلم إلى آخر، رغم دوائر حيرته، لكنه يؤنسني يأخذ بيدي ويبشرني وكأني في انتظار جائزة العمر.

قال: لقد غيرت كل عاداتي سيدتي،فمنذ حلمت بك لم أزر قبر أمي وكنت أزوره كل صباح أتزود من ذكرى حنانها، وأتخيل صدرها الفسيح يضمني، فيزورني الأمان، وأقدر على مواصلة عبث اليوم وصقيع غربته، كما كنت معتادا كل صباح أن أنثر الحبوب أمام شجرة

حديقة منفاي، لتنزل الطيور تباعا آمنة تتزود من مأدبة النهار اليومية، لم أنثر لها شيئا منذ زارني الشوق لملامحك ودفء ضمتك، وطمعي في أن تربتي روحي المتعبة من البحث عن زادك.

قالت: حين كانت النسائم تداعب خصلات شعري المتمردة،في ليالي عطشى..كانت تهف على أطراف أذني، وترمي بسمعي إلى البعيد، فيصلني صوتك ممزوجا بطراوة تغمر روحي، أقف هنا تماما كما أقف الآن ، أغرق في همهمة مكتومة، ويتوه رأسي وعقلي وروحي، كالمتشردة أستجدي أن تأتي، لكن دون نداء خاص مني، وقد وصلك ندائي سيدي، وفرحت وكتب لي أن أكون ضمن الموعودين بالبعث، فتعال فقد كنت أكتب رسائلي إلى الغيمات الحبلى بالفيض، علها عند تتابع زخاتها، أرى ردا لمكتوبي التائه، تتحقق نبؤتي، وأنال الحظوة بالوجود في حضورك، لم أكن أتمنى سوى قدر ضئيل من السعاده، بحجم كفي وكفك، صدري وصدرك، حتى يكتب لها البقاء فتدوم، ولا يلحظها محروم غيري.

قال:كان نداءك معلقا شهابا متألقا في منتصف السموات، وحين راح نظري نحو النور، سمعتك بشغاف القلب.. سمعتك، أدركتُ أني مخبؤك وأنك مخبوئتي، وحلمت بك معي، نمسك بشعاع النور معا، نور شفيف وتابعت بعيني، في الجهة الأخرى، وجدت البحر ووجدتك، صعدتُ سفينة شغفي، وأتيتُكِ، فلا توصدي نوافذك وأبوابك، دعيني كشمس الضحى نورا وسلاما وبردا لك، تلقفي خيوطي، وعبئيني في ثنيات روحك فلا أبين، فما عدت سوى جزء من نفسك حبيبة الروح فحبك أخذ مكان خساراتي.